

قداس الفصح المقدس

صباح الأحد ١٢ نيسان ٢٠١٥ ترأس سيادة متروبوليت بيروت وتوابعها المطران الياس عوده خدمة الهجمة وقداس الفصح في كاتدرائية القديس جاورجيوس. بعد الإنجيل المقدس ألقى سيادته العظة التالية:

«المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

اليوم يوم القيامة، يوم الفرح، يوم الإنعتاق من الخطيئة، يوم الانتصار على الجحيم. إنه عيد الأعياد وموسم المواسم لأنّ الربّ يسوع، ابنَ الله، الإله المتجسد الذي أخلى ذاته أخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، قد قام من بين الأموات مانحاً إيانا الحياة والخلص.

قد أعلنّا وسنعلن مراراً أنّ المسيح قام. لكن هل نؤمن فعلاً بأنّ الإله قد تجسد من أجلنا، وقد احتمل الآلام والموت من أجل خلاصنا، وقد غلب الجحيم وقام من بين الأموات لكي يقيمنا معه ويمنحنا الحياة الأبدية؟ هل نؤمن حقاً أنّ القيامة قد حصلت وأنها أساس إيماننا وأنه إن لم يقم المسيح فإيماننا باطل؟ (١كو ١٥ : ١٤)

في هذه المناسبة المباركة، في موسم الفرح هذا، ليعُدّ كلُّ منا إلى نفسه وليطرح السؤال عليها، وليجب بصدقٍ عن هذا السؤال، وإن كان جوابه إيجابياً ليسأل نفسه: إن كنتُ أؤمن حقاً بيسوع المسيح ابن الله القائم من بين الأموات، هل أنا سالك الطريق التي

خطّها؟ هل أنا أتصرّف بحسب وصاياه؟ هل أنا فعلاً لابسُ المسيح الذي اقتبلته عند المعمودية، وهل نوره ينبعث من أقوالي وأفعالي وحياتي، ليعرف العالم أنني تلميذه؟

هذا السؤال أطره الآن عليكم وعلى جميع الذين يدعون أنهم مسيحيون في هذا البلد، لأنّ وطننا في مازق، ولا ينتشله من هذا المأزق إلاّ أناسٌ يؤمنون حقاً بالله ويتصرّفون بحسب مشيئته. يقول بولس الرسول لأهل كولوسي: «إطرحوا عنكم... الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم، لا تكذبوا بعضكم على بعض... إلبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رفاتٍ ولطفاً وتواضعاً ووداعةً وطولَ أناة، محتلمين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً... إلبسوا المحبة التي هي رباط الكمال وليملك في قلوبكم سلامٌ الله الذي إليه دُعيتم» (كو ٣: ٨-١٥).

هل أبناء هذا البلد والمسيحيون منهم خاصة، يتصرّفون بتواضعٍ ولطفٍ ومحبةٍ ووداعةٍ وسلامٍ وطولِ أناةٍ وتعفف، وهي كلّها من ثمار الروح القدس؟ هل يطرحون عنهم الحقد والغضب والحسد والكذب والمصلحة وكلّ ما يحول دون لقياهم الآخر؟ هل يفعلون هذا في سبيل وطنهم، وفي سبيل أولادهم وأحفادهم الذين سيرثون هذا الوطن؟

نحن بحاجة إلى وعي خطورة الوضع الذي نعيشه وإلى تغليب مصلحة الوطن على كل مصلحة. النيران حولنا مشتعلة والأحرى بنا درء الخطر عن لبناننا باتحادنا ووقوفنا درعاً تقي بلدنا من الحريق. والمطلوب منا كمؤمنين، وأقصد كلّ من يؤمن بالله الخالق، أن نستلهم إيماننا لنكون مواطنين صالحين في وطن جميل منحنا إياه الخالق وائتمنا عليه. مطلوبٌ منا أن نتصرّف فيه لا كمؤمنين بديانات ومذاهب بل كمواطنين يعيشون في دولة مستقلة ذات قوانين تسري على الجميع. أما أدياننا ومذاهبنا فهي الحافز لنا لنكون مواطنين صالحين، أوفياء لوطنهم، أمناء على أرضه ودستوره، مخلصين له ومحبين لشعبه.

الإيمان الحقيقي لا يمكن أن يكون سبباً للشقاق والفرق. والمؤمن الحقيقي لا يمكن أن يعيش في قوقعة طائفية لأن الإيمان الصحيح انفتاح على الآخر (كائناً من كان هذا الآخر) الذي نرى في وجهه وجه الله.

نحن نشهد حولنا مجازرَ باسم الدين، وجرائمَ ضد الإنسانية. حضاراتٌ تُمحي وشعوبٌ تواجه خطرَ الإنقراض بسبب التعصب والعنف والإرهاب وإنكار الآخر المختلف. هل تمت هذه الأعمال البربرية إلى الأديان بصلة؟ هل إبادة المعالم التاريخية وأماكن العبادة وثروات التاريخ من الدين؟ هل إنكار كل ما يمت إلى الحضارات بصلة من الإيمان؟ أليس حريّ بإنسان القرن الحادي والعشرين المحافظة على الإرث الإنساني عوض القضاء على التاريخ والفكر والفن؟

الدين ليس إيديولوجيا سياسية بل إيمانٌ بالله وسلوكٌ بحسب القيم والمبادئ والأخلاق. الدينُ تسامحٌ وفكرٌ منفتحٌ وقلبٌ محب. ألا نؤمن جميعنا أن لا إكراه في الدين وأن الإنسان خلق حراً وهو مسؤول عن أقواله وأفعاله ومواقفه؟ فإذا كان الله رب السماء والأرض قد خلق الإنسان حراً وترك له حرية الاختيار، من أنت أيها الإنسان البائس لتكبره أخاك على أمر لا يريد؟

إن التطرف والتعصب وإنكار الآخر واستئصاله أفعالٌ تدمر الآخر وتدمر الذات، وهي تشوه سمعة الدين. لذلك أتوجه إلى إخواني ومواطني المسلمين طالباً منهم الوقوف بحزم في وجه حملات التطرف والتكفير والقضاء على الوجه التعددي لهذا المشرق. فإذا انقرض المسيحيون من هذه المنطقة بسبب عمليات اضطهادهم واقتلاعهم تبعاً من دول الشرق الأوسط، كيف سيكون هذا الشرق بدونهم؟ المسيحية متجذرة في هذه المنطقة، ونحن نعيد اليوم لقيامه ربنا يسوع المسيح الذي وُلد في بيت لحم وعاش في الناصرة وتجوّل في أنحاء فلسطين ولبنان معلماً الناس، شافياً أمراضهم ومقيماً موتاهم، إلى أن اقتبل الآلام وصُلب ومات وقام في اليوم الثالث على ما جاء في النبوءات. فهل شرقٌ لا تعددية فيه ولا

تسامح ولا تفاعل بين الأديان والحضارات قابلٌ للحياة؟ وهل هو قابلٌ للتفاعل مع أوروبا وغيرها من القارات، وعلى التقدّم والتطور، إن لم يكن قادراً على التفاعل فيما بين أبنائه؟

حسنٌ جداً أن يؤمنَ الإنسانُ بالله لكن من الضروري أن نتمسك بحرية الدين والمعتقد وأن نحترم حرية الآخر ونصونها، وأن لا نجعل الدينَ مطيةً للمصالح السياسية والإنتماءات الضيقة. جميعنا مخلوقون على صورة الله ومثاله، وهو يُشرق شمسهُ على الجميع، الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين (متى ٥: ٤٥) وقد افتدى الجميعَ بدمه الثمين.

هنا أقول لإخوتي المسيحيين في هذه المنطقة لا تدعوا الصعوبات مهما كَبُرَتْ والصراعات السياسية والطائفية والنزاعات على السلطة تحبطكم وتدفعكم إلى الهجرة، ولا تستعظوا تأشيرةً على جواز سفركم تقتلعكم من أوطانكم ومن أرضكم التي سقيتموها عرقاً ودماً منذ أقدم العصور. أنتم متجذرون في هذه الأرض، أرض آبائكم وأجدادكم وأرض أولادكم وأحفادكم. لا تتركوها وإن قست الظروف. آمنوا أن إلهنا قد غلب الموت ونحن به مدعوون إلى النصر وإلى الحياة الحقيقية، «لأنَّ كلَّ مَنْ وُلِدَ مِنْ اللَّهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ» (١ يو ٥: ٤). ونحن نوَكِّد لكم أنكم في قلوبنا وفي فكرنا وأنا نرفع الدعاء المستمر إلى الرب إله كي يحفظكم بنعمته ويبعد عنكم كل شر ورجز وخطر وشدة، ويخرجكم من هذه المحنة سالمين.

ما ينطبق على المنطقة كلّها ينطبق على لبنان الذي بات أبنائه يفتقدون العيش الهائئ في ظل دولة موحدة قوية عادلة وقوانين تسري على الجميع، وذلك بسبب تطرّف البعض وتعنت البعض الآخر أو حقدهم أو ارتباطاتهم أو تقديم مصالحهم أو التشبث بمكتسباتهم، واللائحة تطول. وكلّنا نعرف أنّ ما وصلنا إليه سببه عدم انتخاب رئيس للجمهورية يضبط الأمور ويسهر على تطبيق الدستور وحماية الوطن. لذا أتوجّه إلى أحبائنا النواب، ممثلي الشعب، وأخاطب ضمائرهم مذكراً إياهم أنّ التاريخ لا يرحم، وأنّ عليهم واجباً مقدساً أن ينتخبوا رئيساً في أسرع وقت ممكن ليتسلّم زمام الأمور. هل انتخاب رئيس

أمرٌ عصيٌّ إلى هذا الحد؟ إحدى وعشرون جلسة وما يقارب السنة ولم يتمكن ممثلو الشعب من انتخاب رئيس، والشعب الذي انتدبهم يصرخ ويتألم، والبلد ينهار شيئاً فشيئاً. ألم يعد في لبنان شخصياتٌ قادرةٌ على تولّي المسؤولية وتحظى بالأصوات اللازمة لانتخابها؟ لا تدّعوا شهوة السلطة تفقدكم الوطن. الوطن أعلى من المناصب ومن المكاسب ومن الأنا المدمّرة. الوطن أعلى من الطموحات والشهوات والمطامع والمنافع والإرتهان إلى كل شيء ما عدا الوطن. هل بتنا نعيش على ذكرياتٍ وطنٍ، وطنٍ رجالاتِ الأمس الكبار الذين، إلى علمهم وثقافتهم، كانوا ذوي أخلاقٍ رفيعة وأيديّ نظيفة، لم يورثوا ابناً أو قريباً ولم يستغلّوا السلطة لمصلحةٍ أو لجني ثروة، ولم يخلصوا إلاً للبنان وشعبه وجيشه. هل انقرض هذا النوع من الرجال؟ لا أعتقد. لذا، وفي يوم القيامة المبارك، أدعو الجميع إلى التمرّد على هذا الوضع ورفضه. أدعو إلى التمرّد على الإقطاع السياسي والمالي والفكري وعلى سوس الفساد وبلادة العقول وجهل النفوس. أدعو إلى العودة إلى الضمير والقيام بالواجب لتخطي الإنحطاط السياسي والفحش الأخلاقي والتراجع الإقتصادي والتراخي الإجتماعي. نحن بحاجة إلى ثورة بيضاء تقضي على الإهمال والإرتجال وانعدام التخطيط وعدم احترام المهل الدستورية والإستحقاقات الوطنية. أدعو إلى صرخةٍ للعلم في وجه الجهل، والإيمان في وجه التطرّف والإلغاء، صرخةٍ للحق في وجه الباطل، للنور في وجه الظلمة، للصدق في وجه الدجّل، صرخةٍ للديمقراطية في وجه الفوضى، صرخةٍ للأخلاق والضمير تدين كلّ الأعمال اللاأخلاقية بحق البشر والطبيعة والبيئة والتاريخ. تذكروا سؤال الرب لقاينين: «أين هابيل أخوك» (تك ٤: ٩). الربّ لن يسألنا يوم الدينونة عن أنفسنا بل عما فعلنا لإخوتنا، وعما فعلنا بما أعطانا الله من نعم. مَنْ طمر وزنته سوف يعاقب، ومَنْ ثمرها سيكافأ أضعافاً.

لبنان عطيةٌ ثمينة من الله وواجبٌ كلّ واحد منا أن يحافظ عليه بقدر ما أعطاه الله من طاقة. وأولى المسؤوليات، وهذه تقع على النواب كما ينصّ دستورنا، هي انتخاب رئيس للجمهورية فلا تتقاعسوا ولا تتعلّوا بعلل الخطايا، ولا تنظروا إلى ما وراء الحدود. أستم أهلاً للمسؤولية واتخاذ القرار؟ أحبسوا أنفسكم في مجلس النواب ولا تخرجوا إلاً والمهمة قد أنجزت. إفتدوا الوطن وكونوا على قدر المسؤولية وعلى قدر آمال من انتخبكم لا مَنْ تظمحن إلى رضاهم. هنا لا بد لي من التعبير عن أسفي وحزني حين أسمع بعض مَنْ

يدّعون أنهم لبنانيون يدافعون عن رئيس هذه الدولة أو تلك، وعن مصالح هذه الدولة أو تلك، ويفاخرون بذلك ويتشائمون على شاشات التلفزيون مع مَنْ لا يوافقهم الرأي. أين وطنهم في كل هذا الصراخ والسباب الذي نشهده. ألا يخجل الإنسان الذي يدافع عن بلد ليس بلده وجيش ليس جيشه وعلم ليس علمه؟ ومَنْ لا يحترم وطنه ورئيسه وجيشه هل هو قادر حقاً على احترام الغير بصدق؟

صلاتنا في يوم القيامة أن يُلهم ربُّنا القائم من بين الأموات أبناء هذا البلد، مسؤولين ومواطنين، كي يتكاتفوا ويتحابوا ويعملوا بصدق وإخلاص من أجل النهوض بلبنان. نسأله أن يحمي جيشنا وقوانا الأمنية، ويشدّد عزائم المستضعفين ويبلسم قلوب المحزونين ويعيد جميع المهجّرين إلى ديارهم وجميع المخطوفين إلى ذويهم سالمين. كما نسأله أن يعيد إلينا أخويننا المطرانين بولس ويوحنا وأن يبسط سلامه في منطقتنا وفي العالم وينشر نور قيامته في قلوب البشر أجمعين.

المسيح قام - حقاً قام».